توجيه القراءات القرآنية

عند الإمام الزمخشري

أ.فاطمة الزهرة بلبال

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخـــــــص

لقد اهتم المفسرون بعرض القراءات القرآنية لما لها من أثر كبير في التفسير حيث أنها تساعد في توضيح معاني القرآن الكريم وتسهم في توسيع دلالاته وهذا يعد من أهم مقاصد التفسير وغاياته. ويعتبر الإمام الزمخشري من بين المفسرين الذين كان لهم اهتمام كبير بإيراد القراءات القرآنية وبيان ما ينجم عنها من اختلافات لغوية ومعنوية وهو ما يطلق عليه بعلم توجيه القراءات، ونظرا لتمكن الزمخشري من الناحية اللغوية والتفسيرية فقد أحسن توظيف القراءات بما يخدم مقصده في التفسير؛ فكان مصنفه "الكشاف" من أهم المصادر التي يعتمد عليها في معرفة معاني القراءات وبيان إعرابها.

أولا: التعريف بعلم توجيه القراءات

1- التعريف بالقراءات وأقسامها

-القراءات لغة واصطلاحا

القراءات في اللغة جمع مفرده قراءة، وقرأ الشيء بمعنى جمعه وضم بعضه إلى بعض، ومن ذلك سميت القرية لاجتماع الناس فيها، كما سمي القرآن بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص[1].

---

[1] ينظر: محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: عبد الستار أحمد فراج، (د.ب: التراث العربي، 1385هـ-1965م)، (370/1).

- أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، ط3، (مصر: مكتبة الخانجي (1402هـ-1981م))، (78/5).

لعلم القراءات في الاصطلاح تعاريف مختلفة[1] أهمها وأشهرها تعريف الإمام ابن الجزري[2] حيث عرف هذا العلم بقوله: «هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة»[3].

ويتضح من هذا التعريف أن علم القراءات يهتم باختلاف ألفاظ القرآن الكريم من ناحية الأداء، أو بما يصطلح عليه في علم القراءات بالاختلاف في الأصول (وعند اللغويين الجانب الصوتي)، ويبحث أيضا هذا العلم في الاختلاف في حروف وحركات ألفاظ القرآن الكريم، ويسمى هذا بالاختلاف في الفرشيات (أو الاختلاف من ناحية الإعراب والصرف وغيرهما مما يتعلق ببنية اللفظة القرآنية). ويشمل أيضا علم القراءات الحديث عن الأسانيد والرواة مما يعرف بسلسلة السند، ويتبين من خلاله القراءة الصحيحة المقبولة من الشاذة المردودة.

-أقسام القراءات: يمكن تقسيم القراءات إلى قسمين:

أ- القراءات المتواترة:

التواتر في اللغة: هو تتابع الأشياء وبينها فجوات، وكل شيء إذا جاء بعضه في إثر بعض فهو متواتر[4].

---

[1] ينظر: -بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعرفة (1391هـ-1972م))، (318/1).

- شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ت: أنس مهرة، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ-1998م) ص6.

[2] هو محمد بن محمد ابن الجزري أبو الخير الدمشقي، عالم بالقراءات محدث حافظ، من أشهر مصنفاته في علم القراءة: النشر في القراءات العشر، منجد المقرئين، توفي سنة 833هـ. ينظر: محمد بن علي الداودي، طبقات المفسرين، ت: علي محمد عمر، ط1 (القاهرة: مكتبة وهبة، 1396هـ)، (59/2-61).

[3] محمد بن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ت: زكريا عميرات، ط1(بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ-1999م)، ص9.

[4] محمد بن مكرم أبو الفضل بن منظور، لسان العرب، ت: عبد الله علي الكبير وآخرون، (دار المعارف، دت) (4758/1-4759).

أما اصطلاحا: فالتواتر في القراءة هو أن يتلقى نقل القراءة جمع عن جمع إلى منتهاه من غير تعيين العدد، مع موافقتها لأحد أوجد اللغة العربية ولأحد المصاحف العثمانية، فإذا توفرت هذه الشروط فقد تواترت القراءة، ويلحق بالقراءة المتواترة القراءة الصحيحة التي صح سندها بنقل العدل الضابط عن الضابط إلى منتهاه ووافقت العربية والرسم العثماني واستفاض نقلها[1].

ب- القراءات الشاذة:

يدل معنى الشذوذ في اللغة على الانفراد والمفارقة[2]. أما الشذوذ في الاصطلاح فهو ما خالف أحد أركان القراءة المتواترة، وهي موافقة أحد المصاحف العثمانية وكذا موافقة أحد أوجه اللغة العربية، سواء أكان ذلك الوجه فصيحا أم أفصح، وصحة سند القراءة وتواترها، ويتحقق ذلك في القراءات العشر[3] فما وراء العشر فهو شاذ عند أئمة القراءة.

2- التعريف بعلم توجيه القراءات ونشأته:

توجيه القراءات لغة واصطلاحا:

التوجيه لغة: مأخوذ من الوجه، وهو مستقبل كل شيء، ووجهت الشيء جعلته على جهة[4]، والتوجيه إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين، وقيل هو إيراد الكلام على وجه ليندفع به كلام الخصم[5].

---

[1] ابن الجزري، منجد المقرئين، ص18-19.

[2] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (180/3).

[3] والقراءات العشر هي قراءة: نافع بن عبد الرحمن (ت169هـ)، عبد الله بن كثير (ت120هـ)، أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ)، عبد الله بن عامر (ت118هـ)، عاصم بن بهدلة، حمزة بن حبيب (ت156هـ)، علي بن حمزة الكسائي (ت189هـ)، أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت127هـ)، يعقوب الحضرمي (ت205هـ)، خلف بن هشام (ت229هـ)، ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ت: علي الضباع، (بيروت: دار الكتب العلمية، دت)، (45/1).

[4] ابن فارس، مجمل اللغة، ت: زهير عبد المحسن سلطان، ط2(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1406هـ-1986م)، (917/3).

[5] علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، ت: عبد المنعم الحنفي (القاهرة: دار الرشاد، 1991)، ص77.

-توجيه القراءات اصطلاحا:

انطلاقا من التعريف اللغوي لكلمة توجيه وربطه بعلم القراءات يتضح أن توجيه القراءات يقصد به بيان وجه ودليل القراءة لتأييد القراءة والدفاع عنها.

ويراد منه أيضا، بيان وجه اختيار القارئ لتلك القراءة من دون القراءات الأخرى، التي تلقاها عن شيوخه، فهي تعليل اختيار لا دليل صحة القراءة لأنّ دليل القراءة صحة إسنادها وتواترها[1].

ووجوه القراءات وعللها متعددة منها ما كان نحويا أو صرفيا يتعلق بوزن الكلمة واشتقاقها، وقد يكون لغويا يبرز فيه علم الأصوات وتظهر فيه لغات العرب ولهجاتها أو يكون توجيها معنويا يعتمد على أدلة نقلية من قرآن وسنة وسبب نزول أو قراءة شاذة أو أدلة عقلية تتراءى لذهن المفسر.

-نشأة علم توجيه القراءات:

يعتبر علم توجيه القراءات من ثمرات علوم اللغة العربية، بحيث تزامن ظهوره مع استقرار القواعد اللغوية والنحوية وظهور المدارس المختلفة البصرية والكوفية، التي اتجهت إلى القراءات المختلفة المتواترة والشاذة، لتأييد المقاييس والقواعد اللغوية والنحوية التي وضعت خدمة للقرآن الكريم وللغة العربية ودافعا عنهما ضد كل شبه الخصوم والأعداء، ممن يتربصون بالقرآن الكريم وقراءته المختلفة، الذي اشتد ظهوره منذ أواخر القرن الثاني الهجري، فقام علماء الأمة بالدفاع عن القرآن الكريم بالقياس والنظر فيما هو ثابت بالنقل والأثر، فوجهوا بذلك مختلف قراءاته وحروفه[2].

---

[1] عبد القيوم السندي، صفحات في علوم القراءات، ط2 (بيروت، دار البشائر الإسلامية، السعودية: المكتبة الإمدادية، 1422هـ-2001م)، ص186.

[2] عبد القيوم السندي، المصدر نفسه، ص191.

ثم تطور علم توجيه القراءات بعد تأليف ابن مجاهد[1] لكتاب "السبعة" وقام بتوجيه القراءات في سورة الفاتحة، غير أنه أمسك عن ذلك خشية الإطالة، فجاء تلاميذه من بعده ليسلكوا نهجه في توجيه القراءات السبعة والاحتجاج لها[2]، ومن أهم من ألف في هذا العلم من المشارقة أبو علي الفارسي(ت377هـ) في كتابه "الحجة للقراء السبعة" وأحمد بن خالويه (ت370هـ) في "الحجة في إعراب القراءات السبع وعللها"، ومن المغاربة ألف مكي بن أبي طالب (ت437هـ) كتابه "الكشف عن وجوه القراءات وعللها"، وألف أبو العباس المهدوي(ت440هـ) كتاب "شرح الهداية" وهي مؤلفات في توجيه القراءات السبع، أما عن توجيه القراءات الشاذة، فقد ألف "أبو الفتح بن جني (ت392هـ) كتاب "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"، ثم توالت التآليف في علم توجيه القراءات إلى عصرنا الحاضر كما في كتاب "طلائع البشر في توجيه القراءات العشر" لمحمد الصادق قمحاوي.

وكل هذه الكتب متخصصة في توجيه القراءات المختلفة، ومن كتب التفسير التي اعتنت بتوجيه القراءات كتاب الكشاف للإمام الزمخشري[3].

ثانيا: توجيه القراءات عند الإمام الزمخشري

لقد اهتم الإمام الزمخشري (ت538هـ) بتوجيه القراءات القرآنية في تفسيره؛ سواء كانت تلك القراءات متواترة أم شاذة؛ وذلك بالاستعانة بأدواته التفسيرية التي تعينه على هذا الغرض، ومن بينها الأدلة النقلية كالقرآن والسنة، وأقوال الصحابة،

---

[1] هو أحمد بن موسى بن عباس بن مجاهد أبو بكر البغدادي، ولد سنة 245هـ، قرأ القرآن على قنبل المكي وغيره، وقرأ عليه أبو طاهر عبد الواحد وصالح بن إدريس وغيرهم، له كتاب "القراءات السبع"، توفي سنة 324هـ. ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، 1/269-271.

[2] عبد القيوم السندي، المصدر السابق، ص192.

[3] هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم الزمخشري، النحوي اللغوي المفسر، يلقب بجار الله، لأنّه جاور مكة زمنا، ولد سنة 467هـ، من أهم مؤلفاته كتاب "الكشاف"، وهو في التفسير، وكتاب "أساس البلاغة"، توفي رحمه الله سنة 538هـ. ينظر: السيوطي، طبقات المفسرين، ص104-105.

وكذا القواعد اللغوية والنحوية التي حكم من خلالها على بعض القراءات القرآنية قبولا أو ردا، وفيما يلي بعض النماذج التي توضح ذلك:

1-توجيه القراءات استنادا إلى القرآن والسنة:

إن أفضل دليل للاحتجاج على قوة قراءة ما أو بيان معناها، هو آيات القرآن الكريم، فالقرآن يفسر بعضه بعضا، وتأتي السنة النبوية في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم في توجيه القراءات، كما يستدل أيضا بالقراءة الشاذة وحجتها ليس من حيث الرواية، وإنما من حيث التفسير والبيان للقراءة المتواترة، وهي أيضا من الشواهد اللغوية الفصيحة.

ومما ورد في تفسير الزمخشري من توجيه لقراءة متواترة بآية وردت في موضع آخر من القرآن، ما جاء في قوله تعالى:﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: 2].

قال الزمخشري: «وقرأ أبو الشعثاء "لاريب" بالرفع، والفرق بينها وبين المشهورة أن المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوّزه، والوقف على (فيه) هو المشهور، وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على "لا ريب" ولا بد للواقف من أن ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى: ﴿قالوا لا ضير﴾ [الشعراء: 50]، وقول العرب: لا بأس...»[1].

فاحتج الزمخشري هنا لقراءة نافع وعاصم بالوقف على "لاريب" بآية أخرى في القرآن الكريم، وهي في قوله تعالى: ﴿قالوا لا ضير﴾، كما أكد هذه القراءة بكونها مستعملة في لسان العرب، وقد استدل الزمخشري على قوة القراءة وصحتها عنده بما ورد عن رسول الله ﷺ وذلك في تفسير لقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: 58]، قال الزمخشري: «وقرئ "فلتفرحوا"، بالتاء وهو الأصل والقياس وهي قراءة رسول الله ﷺ فيما روى[2] وعنه «لتأخذوا مضاجعكم». قالها في بعض الغزوات»[1]. اعتبر

---

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (بيروت: دار الكتاب العربي، دت)، (35/1).

[2] أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الحروف والقراءات (33/4)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد،

الزمخشري هنا قراءة "فلتفرحوا"[2]، هي الأصل والقياس واحتج بقراءة النبي ﷺ لها مع أن القراءة الأخرى "فليفرحوا" هي قراءة جمهور القراء، وهي أيضا متلقاه من النبي ﷺ.

والظاهر أن الزمخشري مال إلى قراءة "فلتفرحوا" بالتاء نظرا لأنها جاءت على قياس لغة العرب. كما وجه الزمخشري القراءة المتواترة بما ورد في القراءة الشاذة، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 226]، قال الزمخشري: ومعنى قوله "فإن فاءوا" في الأشهر بدليل قراءة عبد الله "فإن فاءوا فيهنّ"[3].

فأكد الزمخشري معنى القراءة المتواترة بالقراءة الشاذة "فإن فاءوا فيهنّ". ومثال ذلك أيضا في تفسيره لقوله تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء01]، حيث ذكر الزمخشري القراءات في لفظ "الأرحام" ثم أيد إحدى القراءات المتواترة وهي قراءة النصب[4]، بقراءة ابن مسعود وهي قراءة شاذة[5]، فقال: «...وقرئ "الأرحام" بالحركات الثلاث، فالنصب على وجهين: إما على واتقوا الله والأرحام، أو أن يعطف على محل الجار والمجرور، كقولك: مررت بزيد وعمار، وينصره قراءة ابن مسعود "تسألون به وبالأرحام..."»[6].

(بيروت: المكتبة العصرية، دت)، وصححه الحاكم في مستدركه كتاب قراءات النبي ﷺ، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ-1990م)، رقم (2946) (263/2).

[1] الزمخشري، المصدر السابق، (353/2).

[2] قرأ رويس عن الإمام يعقوب أحد القراء العشر "فلتفرحوا" بالخطاب وقرأ باقي القراء العشر "فليفرحوا" بالياء، ينظر: ابن الجزري، النشر (285/2).

[3] الزمخشري، المصدر السابق، (269/1).

[4] قرأ الإمام حمزة "الأرحام" بالخفض وقرأ باقي القراء بالنصب. ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ت: جمال الدين محمد شرف، ط1(مصر: دار الصحابة للتراث، 1428-2007م)، ص173.

[5] أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، القراءات الشاذة، ت: محمد عيد الشعباني، ط1، (مصر: دار الصحابة للتراث، 1428هـ-2008م)، ص47.

[6] الزمخشري، المصدر السابق، (462/1).

2-توجيه القراءات لغويا:

لقد وجه الزمخشري القراءات القرآنية بما ثبت على الفصحاء من العرب كما فاضل بين القراءات من حيث الفصاحة، ويشير الزمخشري إلى مفهوم الفصاحة عنده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾ [هود:89] حيث يقول: «...وقرأ ابن كثير "يُجْرِمَنَّكُمْ" بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا له وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما نقل: أكسبه المال من كسب وكما لا فرق بين كسبه مالا وأكسبه إيّاه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إيّاه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما إلا أن المشهورة أفصح لفظا كما أنّ كسبته مالا أفصح من أكسبته»[1].

وبعد أن وجه الزمخشري القراءتين لغويا في لفظ "يجرمنكم" ساوى بينهما من حيث المعنى غير أنه رجح القراءة المشهورة "يجرمنكم" بفتح الياء على قراءة ضم الياء باعتبار الفصاحة ثم بين معنى الفصاحة بقوله: «والمراد بالفصاحة أنه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور وهم له أكثر استعمالا»[2].

كما رجح الزمخشري القراءة التي جاءت على لغة قريش لأنها أكثر فصاحة في نظره، وقد ورد مثل ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 0006].

عرض الزمخشري للقراءات في لفظ "الصراط"[3]، ثم رجح قراءة الصاد لأنها الأفصح وقد وافقت لغة قريش حيث قال: «...والصراط من قلب السين صادا لأجل الطاء كقوله "مصيطر" في "مسيطر" وقد تشم الصاد صوت الزاي، وقرئ

---

(1) الزمخشري، المصدر السابق، (421/2).

(2) المصدر نفسه (422/2).

(3) قرأ خلف "الصراط" و"صراط" حيث وقع باشمام الصاد الزاي وخلاد باشمامها الزاي في قوله تعالى:« الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» هنا خاصة، وروى قنبل بالسين حيث وقعا، والباقون بالصاد، ينظر: أبو عمر والداني: التيسير في القراءات السبع، ت: جمال الدين شرف (مصر: دار الصحابة للتراث، 1427هـ/2006م)، ص 17.

بهن جميعا، وفصاحهنّ إخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الإمام ويجمع سرطا»[1].

وقد ذكر بعض العلماء أن لغة قريش هي الأفصح عند العرب وذلك أنّ الله اختارهم من جميع العرب باختيار النبي محمد صلى الله عليه وسلم منهم، وكانت قريش تسكن الحرم ووفود العرب تحجّ إليها من كل مكان وتحتكم إلى قريش في أمورها المختلفة، وكانت قريش مع فصاحتها تتخيّر من كلام العرب وأشعارهم ما يزيد في حسن وصفاء لغتها فبذلك كانت أفصح العرب [2].

وعلماء القراءة يصرّحون بتفاوت القراءات القرآنية من حيث الفصاحة ولكن لا يشترطون في قبول القراءة أن تكون موافقة للأفصح في اللغة العربية بل القراءة الفصيحة أيضا يعتد بها إذا ثبتت رواية، وفي ذلك يقول ابن الجزري «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه...نريد به وجها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحا مجمعا عليه أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم...»[3].

ومن هنا فالقراءات القرآنية تتفاوت في درجة الفصاحة فمنها الفصيح والأفصح، والقرآن الكريم أعجز العرب باستعمال نفس أساليبهم في الكلام في كونه يشتمل على اللفظ الفصيح والأفصح منه، ومع ذلك لم يقدروا على تحدّي إعجاز القرآن الكريم، كما أنّ القرآن في لغته أفصح من التوراة والإنجيل لأنّ تلك الكتب لم تكن معجزاتها في الفصاحة مع أن الجميع كلام الله تعالى فكذلك يمكن أن يكون بعض كلامه أفصح من بعض [4].

---

[1] الزمخشري، المصر السابق، (121/1).

[2] أبو الحسين أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، ت:عمر فاروق الطبّاع، ط1 (بيروت: لبنان، مكتبة المعارف، 1414هـ -1993م)،ص 55.

[3] ابن الجزري، النشر (9/1-10).

[4] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ت: النبوي عبد الواحد شعلان (مصر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع: دت)، ص 348.

وقد اختار الزمخشري حمل القرآن على اللغة الأفصح دون الفصيح منها، ولذلك نجده أحيانا ينتقد بعض القراءات التي جاءت على لغات غير فصيحة في نظره، ومثال ذلك ما جاء في توجيهه للقراءة في قوله تعالى: **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾** [البقرة:34].

حيث عرض الزمخشري لقراءة أبي جعفر "للملائكةُ اسجدوا" بضم التاء [1]، ولم يجوزها لغة كما وصفها بالضعف فقال: «لا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع إلا في لغة ضعيفة كقولهم "الحمد لله"[2].

والقراءة التي ضعفها الزمخشري هي من القراءات العشر الصحيحة وذلك لاعتبارات لغوية وهي أنّ "الملائكة" في موضع جر فالتاء إذا مكسورة ويجب أن تسقط ضمة الهمزة من "اسجدوا" لسقوط الهمزة أصلا إذا كانت وصلا، وهذا إنما يجوز إذا كان قبل الهمزة حرف ساكن صحيح نحو قوله تعالى: **وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾** [يوسف:31] [3].

وقد وجهت قراءة أبي جعفر توجيها يوافق إحدى لغات العرب وهو أنّ علّة ضم التاء في "للملائكةُ" هو استثقال الانتقال من الكسرة إلى الضمة، فأجريت الكسرة اللازمة مجرى العارضة، وقد جاء ذلك على لغة أزدشنوءة، أو أنه نوى الوقف على التاء فسكنها ثم حركها بالضم إتباعا لضمة الجيم، وفيه إجراء للوصل مجرى الوقف [4].

وانتقد الزمخشري أيضا قراءة شاذة لعدم موافقتها لمقاييس الفصاحة إضافة إلى عدم صحتها رواية وقد ورد مثل ذلك في تفسيره لقوله تعالى: **ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ**

---

[1] وقرأ باقي القراء العشر"للملائكةِ اسجدوا" بكسر التاء. ينظر: البناء الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص175.

[2] الزمخشري، المصدر السابق، (127/1).

[3] ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ت: محمد عبد القادر عطا، ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ-1998م)، (153/1).

[4] _ ابن الجزري، النشر (210/2).

النَّارِ﴾ [البقرة: 126]حيث يقول الزمخشري: «وقرأ ابن محيصن فأطّره بإدغام الضاد في الطاء كما قالوا: إطجع... وهي لغة مرذولة»[1].

وقد وصف الزمخشري قراءة ابن محيصن بأنها جاءت على لغة مرذولة ذلك أنه لا يدغم حرف الضاد في الطاء لما في حرف الضاد من الامتداد والفشو فإنها من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها، وهي الشين والضاد والراء والفاء والميم، وقد حكي عن بعض العرب إدغام الضاد في الطاء في قوله في "اضطجع": إطجع إلا أنّ إظهار الضاد هو الأكثر والأقيس» [2].

3-توجيه القراءات نحويا:

استعان الزمخشري بالقواعد النحوية في توجيه القراءات القرآنية ولذلك فالقراءة المقبولة عنده هي التي توافق القواعد النحوية وخصوصا البصرية منها، ويظهر شدة تمسك الزمخشري بتلك المقاييس في رده لبعض القراءات الصحيحة على هذا الأساس وتوهين بعض رواة تلك القراءات.

ومثال ذلك ما جاء في توجيهه للقراءات في قوله تعالى: **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾** [النساء01] حيث انتقد الزمخشري قراءة الإمام حمزة بجر "الأرحام" فقال: «...والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لأنّ الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك: مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد...» [3].

ويستند الزمخشري في ردّه لقراءة حمزة على قاعدة نحوية لا تجوز العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخفاض، وقد حكى الزجاج إجماع النحويين على ذلك

---

(1) الزمخشري، المصدر السابق، (186/1).

(2) ابن جني،المحتسب (191/1-192).

(3) الزمخشري، المصدر السابق (462/1).

فقال: «... فإجماع النحويين أنه يقبح أن ينسق باسم ظاهر على اسم مضمر في حال الجر إلا بإظهار الجار، يستقبح النحويون: مررت به وزيد وبك وزيد إلا مع إظهار الخافض حتى يقولوا: بك وبزيد، فقال بعضهم لأن المخفوض حرف متصل غير منفصل فكأنه كالتنوين في الاسم...» [1].

إلاّ أنّ قراءة حمزة قد أجازها معظم نحاة الكوفة، كما ذكر العلماء لها توجيهات عدة منها:

1-أن تكون "الأرحام" مجرورة بحرف الباء المكرر والمحذوف لتقدم ذكره فكأنه قيل: يتساءلون به وبالأرحام" [2].

2-أن تكون الواو واو قسم أي: «اتقوا الله وحق الرحم» ولله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته[3].

أضف إلى ذلك أن الإمام حمزة أحد القراء السبعة المشهورين، وهو لم يقرأ حرفا من كتاب الله تعالى إلا بأثر[4]. وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأنّ القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها [5].

-ويرى الزمخشري أن سبب ضعف بعض القراءات هو قلة ضبط الرواة لتلك القراءة وذلك لقلة معرفتهم وإحاطتهم بالقواعد النحوية وقد جاء ذلك عند تفسيره

---

[1] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل عبده شلبي (القاهرة: دار الحديث، 1424هـ 2004م) (6/2).

[2] فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط (بيروت:دار الفكر 1401هـ-1981م)، (170/5).

[3] أبو عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1387هـ-1967م)، (4-2/5).

[4] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ط2(دار الفكر للطباعة والنشر، 1403هـ 1983م)، (159/3).

[5] ابن الجزري، النشر (11/1).

لقوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاء﴾ [البقرة:284] حيث قال الزمخشري: «... ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأً فاحشا وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين، لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم، والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو» [1].

وقراءة إدغام الراء في اللام في "فيغفر لمن" هي رواية الدوري عن أبي عمرو البصري [2]، فهي قراءة صحيحة، ومسألة الإدغام هنا هي مسألة اختلف فيها النحويون بين مانع ومجيز لها ولسان العرب ليس محصورا فيما نقله النحويون [3]. كما أنّ مسألة الخطأ في الرواية وإن كانت غير مستبعدة إلاّ أن أهل القراءة تصدوا لمن توهم في روايته وقوّموه، وإلا تركوه وانصرفوا عنه وردّوا روايته [4]، لأنّ من حملة القرآن المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات، العارف باللغات ومعاني الكلمات البصير بعيب القراءات، المنتقد للآثار فذلك الإمام الذي يفزع إليه حفاظ القرآن» [5]. وبالتالي فإن مسألة الوهم والغلط ليست متروكة للرواة كما أنّ القراءة تؤخذ بالرواية والتلقي من لفظ الشيخ بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبقى القواعد اللغوية كشرط وقائي مؤكد لشرط الرواية، فالقراءة إذا صحت فلا يردها قياس عربية.

---

[1] الزمخشري، المصدر السابق، (330/1).

[2] ابن الجزري، النشر، (237/2).

[3] أبو حيان، المصدر السابق (360/2-363).

[4] ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ت: جمال الدين محمد شرف، ط1(مصر: دار الصحابة للتراث، 1428-2007م)، ص 22.

[5] ابن مجاهد، المصدر نفسه، ص 17.

4-توجيه القراءات بلاغيّا:

تقوم الكثير من القراءات القرآنية على وجوه البلاغة المختلفة، وقد اعتمد الإمام الزمخشري عليها في الاحتجاج للقراءات وتوضيح دقائق معانيها، وكانت القراءة المفضلة عنده هي التي تحمل معنى قوي يخدم التفسير ويتناسب مع أسلوب القرآن البليغ.

ويعد أسلوب المبالغة من الأساليب البلاغية المفضلة عند الإمام الزمخشري. ومعنى المبالغة هي أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه، أو هي أن يذكر المتكلم حالا لو وقف عليها لأجزأته، فيجاوز ذلك حتى يزيد في المعنى لتأكيده[1].

وقد رجح الإمام الزمخشري بعض القراءات التي تتوافق مع أسلوب المبالغة سواء كانت تلك القراءة متواترة أو شاذة ومثال ترجيحه للقراءة المتواترة على الشاذة، ما ورد في توجيهه للقراءات في قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف:05] حيث قال الزمخشري: «قرئ "كبرت كلمة" بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب أقوى وأبلغ، وفيه معنى التعجب كأنه قيل: "ما أكبرها كلمة»[2].

فرجح الزمخشري هنا القراءة المتواترة "كلمةً" بالنصب على القراءة الشاذة "كلمةٌ" بالرفع[3]، لأنها تفوقها مبالغة وقوّة في المعنى كما رجّح الزمخشري قراءة شاذة على قراءة متواترة باعتبار أسلوب المبالغة وذلك في توجيهه للقراءات في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ﴾ [النحل: 54] حيث يقول الزمخشري «... وقرأ قتادة: "كاشف الضرّ"

---

[1] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ت: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العصرية، 1406هـ-1986م) ص 365-366.

[2] الزمخشري، المصدر السابق(703/2).

[3] قرأ بها يحيى بن يعمر والحسن وابن محيصن وابن أبي إسحاق وغيره، ينظر: ابن جني، المحتسب (69/2).

على فاعل بمعنى فعل، وهو أقوى من كشف لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة»[1].

فاعتبر الزمخشري أن قوة المعنى في هذه الآية يكمن في أسلوب المبالغة الذي تضمنته قراءة قتادة، وهي قراءة شاذة. ومن الأساليب البلاغية التي وظفها الزمخشري في توجيهه للقراءات وترجحيه بينها أسلوب الالتفات. وهو الانتقال من أسلوب لآخر، كالانتقال من المتكلم إلى المخاطب أو إلى الغائب لأغراض وفوائد مختلفة [2].

ومما ورد من ذلك في تفسير الزمخشري لقوله تعالى: **وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** [آل عمران: 180]، حيث قال: «وقرئ "بما تعملون" بالتاء والياء، فالتاء على طريقة الالتفات، وهي أبلغ في الوعيد، والياء على الظاهر»[3].

عرض الزمخشري للقراءتين المتواترتين في "بما تعملون" [4]، ثم رجح القراءة التي جاءت على أسلوب الالتفات وهي قراءة "بما تعملون" لما تحمله من قوّة معنى الوعيد.

أما عن ترجيح الزمخشري للقراءة الشاذة على المتواترة على أساس أسلوب الالتفات فقد ورد مثل ذلك في تفسيره لقوله تعالى: **أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ** [الأنعام: 157].

حيث عرض الزمخشري للقراءة الشاذة. "أو يقولوا" بالياء ورجحها على القراءة المتواترة "أو تقولوا" لأنها جاءت على أسلوب الالتفات [5]. وينبغي التنبيه أنه لا يمكن ترجيح قراءة شاذة على متواترة بأي حال من أحوال فصحة سند القراءة هي الفاصل في عملية الترجيح بين القراءات، ولا شك أن الرواية المتواترة تتضمن المعنى القوي والصحيح.

---

[1] الزمخشري، المصدر السابق (611/2).

[2] جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن ت: محمد علي البجاوي، (دار الفكر العربي) (ص 378-379)

[3] الزمخشري، المصدر السابق (667/1)

[4] قرأ ابن كثير وأبو عمرو "بما يعلمون" بالياء، وقرأ باقي القراء "بما تعلمون" بالتاء، ينظر: ابن مجاهد، السبعة، ص 169.

[5] الزمخشري، المصدر السابق (81/2).

نتائج البحث:

-يعد علم القراءات القرآنية من العلوم الضرورية لفهم آيات الكتاب الكريم وإدراك أبعاد معانيه وبيان وجوه إعراب مبانيه، فكان بذلك موضع اهتمام العلماء، لاسيما المفسرين واللغويين والنحاة الذين كانوا يعتمدون القراءات المختلفة كأوثق الشواهد، فيأصلون من خلالها القواعد ويفصلون في المسائل.

-لقد اهتم الإمام الزمخشري بعرض القراءات القرآنية المختلفة سواء أكانت متواترة أم شاذة، وقام بتوجيهها على المعاني المختلفة للآيات مستندا في ذلك على القرآن الكريم والسنة النبوية وحتى القراءات الشاذة التي تدعم معنى القراءة المتواترة.

-احتج الزمخشري بأساليب وطرق العرب في الكلام أثناء عرضه للقراءات راصدا بذلك بعض الظواهر اللهجية في لسان العرب مع ربطها بالقراءات القرآنية المختلفة، كما استشهد بكلام العرب في توجيهه لمعاني القراءات وفي ترجيحه بينها ونقده لبعضها.

-استدل الزمخشري أيضا بالمقاييس النحوية وخصوصا البصرية منها في توجيهه للقراءات القرآنية والحكم على بعضها بالقبول أو الرد ولذلك نجده يرد بعض القراءات الصحيحة التي تخالف القواعد النحوية في نظره، وهذا ولا شك مسلك غير صائب.

-اعتمد الزمخشري على علم البلاغة في بيان أوجه بعض القراءات وتوضيح معانيها، فكانت القراءة المفضلة لديه هي التي تحمل معنى قويا يخدم التفسير ويتناسب مع أسلوب القرآن البليغ.

-لقد وظف الزمخشري كل أساليب توجيه القراءات وأدواته فخرج برؤية واضحة ومتكاملة في عرضه للقراءات وبيانه لمعانيها بما يخدم غرضه التفسيري واتجاهه اللغوي.